جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الأوضاع الاقتصادية في مكة المكرمة
من سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م إلى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)
من خلال كتب المؤرخين اليمنيين

إعداد
فاطمة عبيد سعد مبارك الشهراني
باحثة بقسم التاريخ والآثار كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الأوضاع الاقتصادية في مكة المكرمة من سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م إلى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) من خلال كتب المؤرخين اليمنيين.

فاطمة عبيد سعد مبارك الشهراني
باحثة بقسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني:fatmaebeid@gmail.com

ملخص:
تهدف الدراسة إلى استقصاء أوضاع مكة المكرمة الاقتصادية من سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م إلى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) من خلال كتب المؤرخين اليمنيين، وتناولت ثلاثةَ محاور رئيسة، ويأتي في مقدمتها أهم الوظائف والحرف التي عمل بها أهالي مكة المكرمة والمجاورون بها، ثم أهم السلع التجارية الصادرة منها، والواردة إليها، والتي تعج بها أسواق مكة المكرمة، وخاصة في موسم الحج، وأخيرًا إبراز المعاملات التجارية بها، والتي تمثلت في أهم العملات المتداولة بها، والمكوس التي تفرض على الحجاج والتجار القادمين إلى مكة، وأثر استحداثها وارتفاعها على الحجاج والتجار، ثم أثر الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مكة المكرمة، ودورها في رفع الأسعار، واشتملت مؤلفات المؤرخين اليمنيين على معلومات متنوعة عن الأوضاع الاقتصادية في مكة المكرمة خلال الفترة التاريخية الممتدة من سنة(٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) إلى سنة(٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، حيث تناولت بعض الوظائف التي عمل بها أهالي مكة والمجاورون بها، إلى جانب أهم السلع التجارية الصادرة والواردة من مكة المكرمة، وأبرز المعاملات التجارية النقدية في تلك الفترة، وبعض الأزمات التي تعرضت لها، سواء أكانت أسبابها طبيعية أم بشرية، وتأثيرها على الأوضاع الاقتصادية لمكة، وسأقتصر في تقسيم هذا الفصل على ما ورد من معلومات في المصادر اليمنية، ويتكون من ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الوظائف والحرف بمكة المكرمة، المبحث الثاني: أنواع السلع الواردة والصادرة، المبحث الثالث: المعاملات التجارية والأزمات الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: الأوضاع الاقتصادية، مكة المكرمة، كتب المؤرخين، اليمنيين.

The economic conditions in Mecca from the year (626 AH/1229 AD to the year 923 AH/1517 AD) through the books of Yemeni historians.

Fatima ebaid Saad Mubarak Al-Shahrani
Researcher in the Department of History and Archeology, College of Arts and Human Sciences, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: fatmaebeid@gmail.com

Abstract:
The study aims to investigate the economic conditions of Mecca from the year (626 AH/1229 AD) to the year 923 AH/1517 AD) through the books of Yemeni historians, and it dealt with three main axes, the first of which are the most important jobs and crafts that the people of Mecca and those neighboring it worked in, then The most important commercial goods exported and imported from it, with which the markets of Mecca are full, especially during the Hajj season, and finally highlighting the commercial transactions therein, which are represented by the most important currencies traded in it, the duties imposed on pilgrims and merchants coming to Mecca, and the impact of its introduction and rise on pilgrims. And merchants, then the impact of the economic crises that Mecca was exposed to, and their role in raising prices. The writings of Yemeni historians included various information about the economic conditions in Mecca during the historical period extending from the year (626 AH / 1229 AD) to the year (923 AH / 1517 AD), where I discussed some of the jobs that the people of Mecca and its neighbors worked in, in addition to the most important commercial goods exported and received from Mecca, the most prominent monetary commercial transactions in that period, and some of the crises to which it was exposed, whether their causes were natural or human, and their impact on the economic conditions of Mecca. I will limit myself to... This chapter is divided into the information contained in Yemeni sources, and it consists of three sections: The first section: Jobs and crafts in Mecca, The second section: Types of imported and exported goods, The third section: Commercial transactions and economic crises.

Keywords: Economic conditions, Mecca, Books of historians, Yemenis.

الأوضاع الاقتصادية في مكة المكرمة من خلال كتب المؤرخين اليمنيين.

مقدمة

اشتملت مؤلفات المؤرخين اليمنيين على معلومات متنوعة عن الأوضاع الاقتصادية في مكة المكرمة خلال الفترة التاريخية الممتدة من سنة(٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) إلى سنة(٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، حيث تناولت بعض الوظائف التي عمل بها أهالي مكة والمجاورون بها، إلى جانب أهم السلع التجارية الصادرة والواردة من مكة المكرمة، وأبرز المعاملات التجارية النقدية في تلك الفترة، وبعض الأزمات التي تعرضت لها، سواء أكانت أسبابها طبيعية أم بشرية، وتأثيرها على الأوضاع الاقتصادية لمكة، وسأقتصر في تقسيم هذا الفصل على ما ورد من معلومات في المصادر اليمنية، ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الوظائف والحرف بمكة المكرمة.

المبحث الثاني: أنواع السلع الواردة والصادرة.

المبحث الثالث: المعاملات التجارية والأزمات الاقتصادية.

المبحث الأول

الوظائف والحرف بمكة المكرمة

أولاً: الوظائف بمكة المكرمة.

تطرقت بعض المصادر اليمنية إلى ذكر مجموعة من الوظائف والحرف التي انتشرت بمكة المكرمة، وعمل بها سكانها إلى جانب الكثير من المجاورين، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

أ. **وظيفة القضاء**(١):

يعد القضاء من الوظائف الدينية المهمة، والمتوارثة في الأسر العريقة بمكة، فقد كان أكثر القضاة من الأسر العلمية الشهيرة بمكة من أمثال الطبريين والظهيريين والنويريين والفاسيين (٢).

وجاء القاضي في المرتبة الثانية بعد الأمير أو الشريف، حيث كانت تصله المراسيم مثل الشريف سواءُ أكانت بإقرار أو بعزل أو بتعيين، ومع أن القضاء وظيفة دينية مستقلة إلا أنه كان له ارتباط وثيق بالحرمين الشريفين، حيث يكون القاضي إماماً وخطيباً في الوقت نفسه، إلى جانب توليه مهام الفصل في المنازعات وقطع الخصومات، والنظر في الأوقاف والأربطة، وعقد الأنكحة

(١) القضاء لغة: هو الحكم، وأصله القطع والفصل، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه، والفراغ منه، واصطلاحًا: تبيين الحكم الشرعي، والإلزام به وفصل الحكومات (الخصومات). ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص ١٨٦؛ البهوتي: الروض المربع شرح زاد المستقنع؛ وحاشية ابن عثيمين، تحقيق: عبد القدوس محمد، د.ط (د.م: دار المؤيد، د.ت) ص ٧٠٤.

(٢) العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية، ص ٢٥١. مقابلة: الرسوليون والمماليك، ص ٨١، ٨٢.

وتوزيع الصدقات التي يقدمها السلاطين والأمراء والتجار[١]، ولقد كان تعيين القضاة من قبل السلطان الحاكم، وفي عهد الدولة المملوكية تم تعيين أربعة قضاة من كل مذهب؛ إذ كان قصدهم استخدام الفروق بين المذاهب للتسهيل على أنفسهم، مادامت المذاهب الأربعة جميعاً معتبرة ومعترفاً بها عند أهل السنة، وقد قدموا القاضي الشافعي؛ لأنه المذهب الأكثر انتشارا في مصر والشام، يتلوه المذهب المالكي، فالحنفي فالحنبلي[٢]. وتطرقت المصادر اليمنية لبعض العلماء الذين تولوا وظيفة القضاء، ومنهم التالي:

فمن الأسرة الطبرية اشتهر القاضي جمال الدين محمد بن أحمد الطبري الذي تولى قضاء الشافعية سنة(٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م)، ثم اعتزل القضاء في سنة(٧٠٥هـ/ ١٣٠٦م)، إلا أن السلطان المظفر أمر بعودته في السنة التي تليها، واستمر بالقضاء حتى توفي[٣].

القاضي نجم الدين محمد الطبري، الذي تولي القضاء في مكة بعد والده واستمر في القضاء محمود السيرة مرضياً عنه من الناس والسلاطين مدة تزيد عن خمسة وثلاثين عاماً حتى توفي في سنة(٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)، ثم تولى القضاء من بعده ابنه أحمد بن محمد الطبري، بتعيين من الشريف عطيفة بن أبي نمي، وبتفويض من السلطان المجاهد، ثم استمر فيه سنة(٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)

(١) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص ٢١٤. العدواني، نادية: وظائف علماء الحجاز ومهنهم وحرفهم وأثرها على الحياة العامة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٤١، ٤٤٢.العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية، ص ٢٥١.

(٣) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص ١٦٨. الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص ٢٩٤.

بتفويض من الملك الناصر محمد بن قلاوون[١].

ومن القضاة الأشهر من أسرة بني ظهيرة القاضي شهاب الدين أحمد بن ظهيرة الذي تولى القضاء نائباً عن صهره القاضي تقي الدين الحرازي، وتولى الخطابة نيابة عن أبى الفضل النويري، ثم تولى القضاء حتى عزل سنة(٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)[٢]، وتولى محمد بن إبراهيم أبو السعود بن ظهيرة القضاء بمكة بعد وفاة والده، إلى أن قبض عليه الشريف بركات سنة(٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م)[٣].

وتولى القضاء من أسرة النويريين القاضي شهاب الدين أبو الفضل محمد بن أحمد النويري الذي تولى قضاء الشافعية بمكة سنة(٧٦٣هـ/١٣٦٢م)، بعد عزل القاضي تقى الدين الحرازي، واستمر بها حتى مات[٤].

كما تولى القضاء من أسرة الفاسي القاضي تقي الدين الفاسي المكي تولى قضاء المالكية سنة(٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م)بتفويض من السلطان الناصر فرج، وعزل عن القضاء عدة مرات، ثم أعيد وقيل توفي وهو معزول سنة(٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) [٥].

---

(١) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص ٢١١، ٢١٢. بامخرمة: قلادة النحر، ج٦، ص ١٩٤.الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص ١٦١، ١٦٢. ج٢، ٢٧١، ٢٧٢. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ١٩٣.

(٢) بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص ١٤١، ١٤٥.الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص ٥٢. العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية، ص ٢٥٢.

(٣) بامخرمة: قلادة النحر، ج٦، ص ٥٣٥. بافقيه: تاريخ الشحر، ص ٥٠. الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٨٠.

(٤) بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص ١٢٧. الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٥) بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ٢٣٠. الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص ٣٣٨. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٤٢. الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص ١١٤.

ب. وظيفة الإمامة.

تعد الإمامة من أعلى أنواع الوظائف الدينية في مكة المكرمة، إذ يؤمُّ الإمامُ الناس في الصلوات الخمس وفي التراويح في رمضان، وقد شهدت الإمامة تطوراً منذ منتصف القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي، تمثل في تعدد الأئمة، فبعد أن كان في المسجد الحرام إمام واحد يؤم المصلين على المذهب الشافعي خلف الحجر الأسود، أصبح بالمسجد الحرام أربعةُ أئمة، يؤمُّ كلٌ واحد منهم أتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة(١). وممن تولى هذه الوظيفة وورد ذكره في المصادر اليمنية ما يلي:

من الأسرة الطبرية الإمام إبراهيم بن محمد الطبري، والذي تولى إمامة مقام الشافعية وخطيب المسجد الحرام لمدة تزيد عن خمسين سنة(٢).

ومن أسرة القسطلاني الإمام خليل بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) تولى إمام مقام المالكية بعد والده سنة(٧١٣هـ/ ١٣١٣م) واستمر بها لمدة سبع وأربعين سنة إلى أن توفي(٣).

ج. وظيفة الآذان:

وهي من الوظائف الدينية في المساجد والجوامع والمدارس(٤) والأربطة، وكان التعيين في هذه الوظيفة من قبل السلطان والقاضي الشافعي بالحرم، وكان

---

(١) العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية، ص ٢٥٦. الصبحي، يوسف بن محمد: وسام الكرام في تراجم أئمة وخطباء الحرم، ط١(بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ص ٢١.

(٢) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص ٢٠١. بامخرمة: قلادة النحر، ج٦، ص ١٥٣. الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص ٢٤٠.

(٣) البريهي: طبقات صلحاء اليمن، ج١، ص ١٠١. الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٣٢٤، ٣٢٨.

(٤) الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج١، ص ٣٤٩، ٧١٨. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٦٤. بامخرمة: قلادة النحر، ج٥، ص ٢١٠.

للمؤذنين في المسجد الحرام رئيس يدعى" رئيس المؤذنين" وهو الذي يبدأ بالآذان ثم يتبعه باقي المؤذنين الذين يؤذنون من منابر المسجد الحرام، ومن مهامه تعيين المؤذنين وصرف الرواتب لهم من الأوقاف، والإشراف على المؤذنين والتأكد من وجود كل مؤذن في منارته ليلاً أو نهاراً وقت إحانة الآذان(١).

وممن تولى وظيفة رئيس المؤذنين في المسجد الحرام بهاء الدين عبد الله بن علي الكازروني (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) وبقي بها سنين كثيرة حتى وفاته، إلى جانب توليه وظيفة الحسبة نيابة عن قاضي مكة أبي الفضل النويري(٢).

كما تولى وظيفة الآذان عبد الله بن علي الكازروني المكي (ت٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م) (٣)، حيث إنها من الوظائف التي توارثها العديد من أفراد هذه الأسرة.

د. **وظيفة التدريس:**

تُعَدُّ وظيفة التدريس من الوظائف التي عمل بها الكثير من العلماء، من سكان مكة المكرمة والمجاورين بها، ويتولى هذه الوظيفة أساتذة وشيوخ مشهود لهم بالعلم والفضل ممن كان لديه كفاءة علمية، وذلك بعد حصوله على الإجازات العلمية والإذن بالتدريس، ويكون التعيين فيها عادة تحت إشراف السلطة التي تتولى بنفسها تعيين المدرسين بالحرمين؛ التي غالباً ما تسند مهمة التدريس لكبار العلماء وخاصة القضاة، وفقهاء المذاهب الأربعة(٤)، وقد تعددت مراكز التعليم

(١) المباركي، فاطمة: الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي، د.ط(مكة المكرمة: مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) ص ٦٥، ٦٦. مقابلة: الرسوليون والمماليك، ص ٨٩.

(٢) بامخرمة: قلادة النحر، ج٦، ص ٣٦٧، ٣٦٨. الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص ٢١٢. ابن فهد إتحاف الورى، ج٣، ص ٢٥٩.

(٣) بامخرمة: قلادة النحر، ج٦، ص ٢٥٩. الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص ٢١٣.

(٤) مقابلة: الرسوليون والمماليك، ص ٨٨. العدواني: وظائف علماء الحجاز، ص ٩٤.

التي حظيت بالعديد من المدرسين كالمساجد والمدارس والأربطة[١].

إلى جانب ارتباط وظيفة الإعادة بالتدريس والتي تأتي بعد رتبة المدرس، ومهمة صاحبها إعادة إلقاء الدروس الذي سبق وألقاه المدرس على الطلاب ليتقنوه ويفهموه، وشرح ما صعب عليهم فهمه بعد شرح المدرس[٢]، وهي من الوظائف التي ذكرتها المصادر اليمنية في المدارس الرسولية، ويصرف مرتباتهم من ضمن الأوقاف على المدرسة، غير أنه لم يرد معلومات عن الذين تولوا هذه الوظيفة[٣].

هـ. وظيفة القيم:

وهي من الوظائف التابعة للمؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس، وقد ورد ذكرها من ضمن الوظائف التي أقرها السلطان الأفضل الرسولي في مدرسته بمكة المكرمة، ومن مهام القيم أن يكون مسؤولاً عن تنظيف المدرسة من الداخل ومن الخارج، وفرش البسط، وإنارة المدرسة في المساء وإطفائها عند الاستغناء عن الإنارة، ويتولى أيضا حفظ مستلزماتها من الضياع، غير أن المصادر اليمنية لم تذكر لنا معلومات عن الذين تولوا هذه الوظيفة في المدرسة[٤].

كما أشارت بعض المصادر اليمنية أنه في الفترة التي كانت مكة تحت التبعية الاسمية للدولة الرسولية؛ كانت مرتبات عدد من الموظفين تدفع من قبل

---

(١) سيتم الحديث عنها بالتفصيل في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٢) العدواني: وظائف علماء الحجاز، ص ٩٦.

(٣) الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٢، ٣٤٩، ٧١٨، ٧٥٦. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٦٤. بامخرمة: قلادة النحر، ج٥، ص ٢١٠.

(٤) الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٢، ص ٧٥٦. بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص ١٣٩. الباشا، حسن: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، د.ط(القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦م) ص ٨٩٨.

السلطان المظفر، ومنها دفع مرتبات الوقاد في المسجد الحرام، ومهمته وضع الزيت في القناديل والمصابيح التي تعلق في المسجد الحرام، لكي تشتعل وتضئ جوانبه ليلاً(١)، إلى جانب إرساله سنوياً ما يلزم لذلك من قناديل وسلاسل وشموع، وإرسال المواد الخاصة للإضاءة(٢) منها ست عشرة جرة من عصارة زيت السمسم التي تعرف بالسليط(٣)، وكذلك دفع مرتبات موظفي الأسبلة، وعرف من يتولى هذه الوظيفة بالزمزمي، وهم الذين يتولون ملءَ الأسبلة بالماء لسقي الحجاج والمعتمرين بالمسجد الحرام (٤).

(١) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ١١٦. الفائز: الأوضاع الاجتماعية للعلماء، ص ٦٤.

(٢) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ١١٦. علي حسين: أعمال السلطان المظفر، ص ٢١١٧، ٢١١٨.

(٣) السليط: هو عصارة زيت السمسم، الذي يعرف في بلاد اليمن بالجلجلان، ويزرع بكثرة في تهامة والمناطق الدافئة في المرتفعات. الأشرف الرسولي، عمر بن يوسف: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تحقيق: عبد الله المجاهد، ط١(دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ص ٧٨.

(٤) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ١١٦. العدوني: وظائف علماء الحجاز، ص ١٠٣.

ثانياً: الحرف بمكة المكرمة.

أ. الوِرَاقَة[١]:

تُعَدُّ حرفة الوِرَاقَة من الحرف الرائجة في مكة آنذاك، وهي ذات ارتباط وثيق بالجانب العلمي؛ لذلك فإن أكثر الذين عملوا بها كانوا من العلماء والفقهاء والمحدثين والقضاة، والنحاة، واللغويين، والشعراء، ودلالي الكتب وغيرهم، وتشمل هذه الحرفة كل ما له علاقة بالكتب من نسخ الكتاب وتجليده، والتوسط في بيعه، أو بيع أدوات الكتابة أو الورق، وقد زاد الإقبال عليها بمكة المكرمة؛ نظرًا لكثرة العلماء بها، ورغبة الكثير منهم في نسخ المصنفات العلمية وخاصة المجاورون منهم؛ لتبادلها وجمعها في مكتباتهم الخاصة، أو للمتاجرة بها في أسواق بيع الكتب التي تنتشر بكثرة في مكة، إضافة لظهور عدد من المدارس والأربطة؛ مما ساعد على ازدهار حركة التأليف ونسخ الكتب والمقررات الدراسية بها[٢]، وعلى صعيد آخر حرص السلاطين على شراء الكتب من مكة؛ لإثراء مكتباتهم الخاصة بالكتب العلمية في مختلف المجالات؛ مما أسهم في زيادة الإقبال على حرفة الوراقة، واشتهر سلاطين بنى رسول بحرصهم على اقتناء

(١) الوراق هو الذي يورق ويكتب، وهو اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد، ويطلق على ممتهن هذا العمل الناسخ أو الكاتب. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٧٥، السمعاني، عبد الكريم بن محمد: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن ابن المعلمي اليماني، وآخرين، ج١٣، ط١(الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص ٣٠٠، ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص ٦١.

(٢) العدواني: وظايف علماء الحجاز، ص ١٠٦. السنيدي، عبد العزيز بن راشد: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي، مج ٢٥، ع ١-٢(د.م: عالم الكتب، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ص ٥، ٦.

الكتب النفيسة، ووضع المكافآت للعلماء القادمين ببعض المؤلفات من خارج اليمن، من أمثال السلطان المظفر، فقد خصص بعض الرسل إلى الأقطار الإسلامية؛ لجلب الكتب النادرة إلى خزانته من أمثال شرفُ الدين الإربلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨) فقد كان يجلبها من مكة في كل سنة بعد موسم الحج(١).

وكذلك الأمر بالنسبة للسلطان عامر الطاهري (ت٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) الذي كان يرسل بعض الفقهاء المقربين إليه؛ لجلب الكتب العلمية التي يرغب في اقتنائها من أسواق مكة، ومنها كتاب الزركشي(٢) في فقه الشافعي، وكان في أربعة وعشرين مجلداً، بالخط الرائق والديباجات الملونة، وعندما وصل إليه طلب منه نسختين لينتفع بها طلبة العلم، وجعل إحداهما بزبيد وقفًا(٣).

ومن أهالي مكة من عمل بهذه الحرفة، حيث تعد أسرة بني فهد(٤) من

(١) الجندي: السلوك، ج٢، ص ٥٦٩. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٢٣٤.الأهدل: تحفة الزمن، ج٢، ص ٤٩٨، ٤٩٩.

(٢) وهو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل مصري المولد، ولد سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة"، و" الطريقة المحمدية"، و" شرح لب اللباب للبيضاوي"، وغيرها من التصانيف، توفي سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص ٦٠.

(٣) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٢٠٧. يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج٢، ص ٦٢٢.

(٤) أسرة بني فهد: يرجع نسبهم إلى محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وهي من الأسر العلمية المشهورة بمكة، وقد نبغ من هذه الأسرة عدد كبير من العلماء والحفاظ ومؤرخي مكة الذين عكفوا على تحصيل ونشر العلم بمكة. الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ٧٩. السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص ٢٣١. مالكي، سليمان عبد الغني: الطبريون مؤرخو مكة المكرمة نشاطاتهم العلمية ووظائفهم في الحرم خلال القرن الثامن الهجري، ط١(الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٥هـ) ص ٤٠، ٤١.

أبرز الأسر التي اتجه أبناؤها إلى الوراقة، وكان من أبرز من عمل من هذه الأسرة في هذا المجال[١]، عمر بن محمد بن أبي الخير المعروف بابن فهد[٢] ، والذي عمل في نسخ الكتب من شتى المدن التي زارها أثناء رحلته لطلب العلم، ولكثرة مؤلفاته وما أنتجه من مصنفات في الحديث؛ لا يكاد يخلو بيت من بيوت مكة المشهورة بالعلم من مصنف من مصنفاته، والتي تم نسخها على يد العلماء الراغبين في الاستفادة من تلك المصنفات[٣].

كما عمل في الوراقة ونسخ الكتب أيضا الشهاب الفاضل أحمد بن الحسين بن محمد[٤]، حيث كانت حرفته التي يتكسب منها [٥].

كما شارك المجاورون في مجالات الوراقة المختلفة من نسخ الكتب، والمتاجرة في بيعها؛ وذلك لما تدرُّه من مردودٍ ماليّ طيب لصاحبها، كما يجب على من يريد العمل في الوراقة أن يكون على معرفة بالضوابط والمنهجية

(١) السنيدي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية، ص ٧.

(٢) عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن عبد الله بن فهد القرشي الهاشمي المكي، مؤرخ من بيت علم، مولده ووفاته بمكة، ولد سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، ورحل إلى مصر والشام وغيرها، صاحب كتاب "إتحاف الورى بأخبار أم القرى"، و"التبيين في تراجم الطبريين"، وذيل تاريخ مكة للتقي الفاسي، توفي سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م. بن فهد: إتحاف الورى، ج١، ص ٨ وما بعدها. الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٦٣.

(٣) الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص ٥١٢. السنيدي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية، ص ٧.

(٤) أحمد بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم الشهاب البدر المكي، يعرف بابن العليف، ولد بمكة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، ونشأ بها، وحفظ القرآن والألفية النحوية، ثم أصيب بكثرة الأسقام في آخر عمره، مات سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م. بافقيه: تاريخ الشحر، ص ١٤٤؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص ٥٤، ٥٥.

(٥) بافقيه: تاريخ الشحر، ص ١٤٤. العيدروس: النور السافر، ص ١٨٠، ١٨١.

المعرفية والفنية الدقيقة التي ينبغي أن يلتزم بها إذا رامَ نجاح عمله في الوراقة، حيث يمر هذا العمل بخطوات متسلسلة، تبدأ بالحصول على الكتاب، ثم الترخيص بنسخه، ثم قراءته على المؤلف أو الراوي، ثم الإجازة، فالسماح بالتداول ويتبع هذه المنهجية بعد ذلك أمور فنية تضفي المزيد من الرونق على الكتاب المنسوخ(١)، إلى جانب تعهد عدد من الوراقين الذين احترفوا الوراقة، ممن كان لهم باع في بعض العلوم أو مشاركة فيها، التعليق على الكتب وتزويدها ببعض الحواشي المفيدة والتعليقات النافعة، مما زاد من قيمتها المادية وفائدتها العلمية، من أمثال هؤلاء الوراق اليمني أحمد بن أبي بكر بن أحمد البريهي(ت ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) الذي قصد مكة المكرمة وبعد حصوله على الإجازة العلمية من فقهاء ومحدثي المسجد الحرام، عمل في حرفة الوراقة فكان معظم قوته من أجرته على نسخ القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه، واغتنم فرصة وجوده في مكة المكرمة وتوافر العديد من المصنفات القيمة فجمع لنفسه جملة من الكتب النفيسة في عدد من العلوم فنسخها ووضع عليها الحواشي وأحسن ضبطها، واصطحبها أثناء عودته إلى بلاده، لينتفع بها تلاميذه(٢).

كذلك عمل في الوراقة الفقيه عبد الله بن أحمد الزيادي(٣)، فقد نسخ العديدَ من الكتب في الفترة التي كان مجاورًا بها، وجعل معظمها وقفًا في مكة لطلبة العلم، ولمن يريد الرجوع إليها(٤).

---

(١) السنيدي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية، ص ٣٠، ٣١.

(٢) البريهي: مختصر طبقات صلحاء اليمن، ص ٩٦، ٩٧.

(٣) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الزيادي الحضرمي يكنى بأبي قفل، كان فقيها حافظًا، ولد سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م، وتوفي بمكة سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م. بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ١٤٠، ١٤١.

(٤) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص ١٤١. الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص ١٠١، ١٠٢.

وقام الإمام عمر بن حمير التباعي السحولي[١] بنسخ كتب الغزالي كالوسيط والوجيز من مفتي مكة الإمام محمد بن مفلح العجيبي[٢]، وذلك أثناء مجاورته بمكة، وأوقف كتبه التي قام بنسخها[٣].

وشرف الدين أبو القاسم علي اليمني (ت ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) ممن قصد مكة للحج ثم بقي بها وعمل بنسخ الكتب بالأجرة[٤].

وبالإضافة إلى ذلك كان بعض العلماء ينسخون لأنفسهم؛ رغبة في اقتناء ما نسخوه من الكتب، وذلك عند قدومهم للحج من أمثال القاضي أبو العتيق اليحيوي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م) حيث انتسخ بعض الكتب العلمية قبل عودته إلى بلاده[٥].

---

(١) عمر بن حمير بن عبد المجيد التباعي، من أعيان الفقهاء وفضلائهم، توفي في مكة في آخر المائة السادسة. بامخرمة: قلادة النحر، ج٤، ص ٣٩٨، ٣٩٩؛ الأكوع، إسماعيل بن علي: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط١، ج٤(بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ص ١٩٧١.

(٢) أبو عبد الله بن مفلح بن أحمد العجيبي، كان فقيهًا فاضلًا عالمًا، أقام في مكة مدةً، وتوفي بمكة في آخر المئة السادسة. انظر: الجندي: السلوك، ج١، ص ٣٧٠؛ الجعدي، عمر بن علي: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، د، ط (بيروت: دار القلم، د.ت) ص ٢٤٧. الأهدل: تحفة الزمن، ج١، ص ٢٦٩.

(٣) الأهدل: تحفة الزمن، ج٢، ص ٢٦٩. بامخرمة: قلادة النحر، ج٤، ص ٣٩٨.

(٤) البريهي: مختصر طبقات صلحاء اليمن، ص ٣١٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص ١٣٦. القحطاني، سعيد بن عبد الله: دور المجاورين بمكة المكرمة في الحياة العامة خلال العصر المملوكي ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٦١٥م، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع ٤٧ (جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٢٠م) ص ٢٠٧.

(٥) الأفضل الرسولي: العطايا السنية، ص ٩٣.

وساعدت الوراقة ونسخ الكتب في انتشار الكتب ورواجها في الأقطار الإسلامية، مما أسهم في دخول كتابي "التحرير" وكتاب "شرح المنظومة" لأبي زرعة (ت ٨٣٦هـ/١٤٣٣م) إلى بلاد اليمن، وذلك على يد أحد فقهاء اليمن يقال له الفقيه أبو بكر السحولي، فانتفع بهما طلاب العلم بعد أن جعلهما وقفًا بإحدى مدارس اليمن(١).

وفي مجالات الوراقة الأخرى في مكة شارك بعض التجار اليمنيين في بيع الكتب واقتنائها، من أمثال التاجر غياث الدين الغساني (ت ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) فقد كان كثير القدوم إلى مكة في الحج بقافلته، وكانت حصيلته من الكتب العلمية في القراءات والحديث والنحو والفقه والطب نحو سبعة آلاف مجلد(٢). وفي سنة(٩٠١هـ/ ١٤٩٦م) أسهم تجار اليمن في انتشار كتاب "فتح الباري في شرح صحيح البخاري" للعلامة ابن حجر العسقلاني في بلاد زبيد(٣).

ب. التجارة:

تُعَدُّ التجارة من الحرف الأساسية التي اعتمد عليها اقتصاد سكان مكة بشكل عام، حيث زاولها الكثير من أهالي مكة، ومارسوها باحتراف ومهارة، وكان لهم السبق والريادة في هذه الحرفة؛ بفضل خبراتهم الطويلة، ونشاطهم بها على امتداد العصور الإسلامية؛ مما جعلها مقصدًا للكثير من التجار من جميع الأقطار الإسلامية، إلى جانب تنوع سلعهم ومنتجاتهم؛ لكونها ملتقي القوافل التجارية من كل مكان، ولأهمية التجارة مع مكة؛ فقد سعى سلاطين اليمن منذ القدم إلى الاهتمام بطرق التجارة التي تربطهم بمكة، وأولوا هذه الطرق أهمية في

(١) البريهي: مختصر طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٣٣.

(٢) البريهي: طبقات صلحاء اليمن، ج١، ص ٢٧١.

(٣) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ص ٦٢٢. العيدروس: النور السافر، ص ٣٩.

عمارتها وإصلاحها، ومن أمثلة ذلك دور الحسين بن سلامة[١] في إنشاء الجوامع والمنارات على هذه الطرق، كما بنى عقبة الطائف، وعمَّرها بحيث تمشي في عرضها ثلاثة جمال بأحمالها، كما قام ببناء المصانع، وحفر الآبار على مراحل من تلك الطرق[٢]، ومن أهمها بئر في يلملم، وبئر آدام[٣]، وبئر في وادي الرخم[٤]، والتي بدورها كان لها الأثر الكبير في تسهيل وصول الحجاج والقوافل التجارية اليمنية إلى مكة، ومن أشهر تلك القوافل التجارية التي تقصد مكة من اليمن كل سنة مع الحجاج قافلة الفقيه أحمد بن عجيل(ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) التي اشتهرت باسم قافلة ابن عجيل حتى ولو لم يرافقهم في بعض السنوات[٥].

---

(١) الأمير أبو عبد الله الحسين بن سلامة، أمير تهامة، مولى بني زياد، قام بدولتهم بعد تفكك أطرافها بعد وفاة سيده عبد الله بن إسحاق سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، واستوثقت البلاد في عهده، وكان حاكمًا عادلًا عالي الهمة، كثير الصدقات والصلات، أقام في الملك ثلاثين سنة، توفي سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م. بامخرمة: قلادة النحر، ج٣، ص ٣٠٧؛ بامخرمة: ثغر عدن، ص٩٣.

(٢) الحبيشي، وجيه الدين عبد الرحمن: تاريخ وصاب المسمى "الاعتبار في التواريخ والآثار"، تحقيق: عبد الله الحبشي، ط٢(صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ص ٣٦، عمارة، نجم الدين بن علي: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق: محمد الأكوع، ط٢(د.م: مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ص ٧١.

(٣) بئر آدام وادٍ فحل من أودية مكة المكرمة، يقع على بعد (٥٧) كيلًا جنوبًا، في وادي إدام، يطؤها درب اليمن القديم، ماؤها غزير، سكانه الجحادلة من بني شعبة. البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ١٥٢؛ البلادي: معالم مكة التاريخية والأثرية، ص ٢١.

(٤) الرخم شعب بمكة بين أصل ثبير غيناء وبين القرن المعروف بالرباب. البلادي: معجم معالم الحجاز، ص ٦٨٧.

(٥) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص ١٣٦، ١٥٨، ١٥٩. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٢١٩. الأهدل: تحفة الزمن، ج١، ص ٣٤٠.

وكان من أشهر من عمل في التجارة بمكة من أهالي اليمن وذكرتهم المصادر اليمنية، ما يلي:

- إبراهيم بن أحمد الكينعي (ت ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م)، حيث اشتغل بالتجارة، وكان كثير التردد على مكة(١).
- التاجر أبا راشد الحضرمي من التجار الذين قصدوا مكة للتجارة، وصرف الكثير من تجارته في أوجه البر والخير بها(٢).
- الفقيه جمال الدين محمد بن إبراهيم البريهي (ت٨١٠هـ/ ١٤٠٨م) وهو من علماء اليمن وعمل بالتجارة فقد كان كثير التردد على مكة المكرمة وجمع منها ثروة طائلة، وبسط يده بالعطاء فكان يصل بها الرحم، ويتصدق بها(٣).
- الفقيه محمد بن علي المحب النويري (ت ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) الذي عمل بالتجارة، وظل يمارسها إلى جانب نشر العلم في الأقطار الإسلامية التي رحل إليه، وقد عُرِض عليه العديدُ من الوظائف في التدريس والقضاء بمكة إلا أنه فضل التجارة ومزاولتها عن العمل بتلك الوظائف(٤).
- التاجر العفيف عبد الله بن محمد المعروف بالهبي الذي تردد على مكة للتجارة كثيراً ثم استوطن بها في أوائل سنة(٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)، واشتري بوادي نخلة العديد من الأراضي الزراعية(٥).

هذا ولم يقتصر الأمر على التجار اليمنيين فقط، بل كان للحكام

---

(١) الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص ٥، ٦.

(٢) بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص ١٤٠.

(٣) البريهي: طبقات صلحاء اليمن، ج٢، ص ٦٩، ٧٢.

(٤) الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٥) بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص ١٥٠. الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص ٢٧٩، ٢٨٠.

والسلاطين مشاركة فعالة في مجال التجارة، وخاصة في مكة، ومن أشهرهم السلطان المظفر، حيث كان له متاجر لبيع الطعام في مكة[١]،

إضافة إلى ذلك فقد انتقل الكثير من تجار اليمن إلى مكة؛ نظرًا لما حققته تجارتهم فيها من مكاسب كبيرة، جعلتهم يفضلون الاستقرار بها، ومزاولة التجارة بها عن قرب، ومن أمثال هؤلاء يوسف الهروي التاجر اليمني الذي قصد مكة للحج والمجاورة بها بجميع ماله وأولاده سنة(٩١٤هـ/١٥٠٩م) [٢].

ومن الحرف التي ارتبطت بالتجارة، وعمل بها بعض المجاورون اليمنيين حرفُ الحِطَابة وهي من الحرف التي لا تتطلب وجود رأس مال معين، ويبيع صاحب هذه الحرف الحطب، وقد كان للحطابة سوق بمكة يعرف بسوق الحطابين، وقد مارس هذه الحرفة من المجاورين اليمنيين صارم الدين بن صالح (ت ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م)[٣].

ج. الدباغة:

وهي من الحرف التي عرفتها مدن الحجاز، ومن بينها مكة والمدينة المنورة والطائف وجدة، حيث تعنى بمعالجة الجلود ودبغها وتهيئتها للاستعمال فيما بعد، وهي حرفة تقوم على أساس إصلاح الجلد، وإبعاد الصوف والشعر عنه؛ للاستفادة منه في أغراض نافعة؛ لتصبح أديمًا يستخدم فيما بعد كقِرَبٍ ودِلاءٍ؛ لحفظ الماء أو الزيت والعسل إلى غير ذلك، وقد استعمل السلطان المظفر القربة في غسيل الكعبة المشرفة عندما حج في سنة(٦٥٩هـ/ ١٢٦١م)[٤]، كما أشارت بعض المصادر اليمنية إلى شهرة الطائف في دباغة

(١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٢٢٢.

(٢) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٣١١.

(٣) البريهي: مختصر طبقات صلحاء اليمن، ص ٦٥.

(٤) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ١٢٤. ابن الديبع: الفضل المزيد، ص ٩١.

الجلود، فقال عنها الهمداني[١]: "الطائف مدينة قديمة جاهلية، وهي بلد الدباغ، يدبغ بها الأهب الطائفية"، وساعد على انتشارها توافر المواد الأولية مثل جلود الحيوانات، التي تكثر في موسم الحج، وتوافر الأشجار التي تستعمل في دباغة الجلود، وتوافر الجو والمكان الصالحين للدباغة[٢]، إلى جانب وجود الأيدي العاملة بها؛ مما أسهم بشكل كبير في زيادة الطلب على الأديم الطائفي في الأمصار الإسلامية الأخرى ومن بينها اليمن[٣]، وقد اختصرت المصادر اليمنية في حديثها عن هذه الحرفة فلم تذكر لنا عمَّن عمل بها، أو أشهر المدابغ في مكة المكرمة إلى غير ذلك من تفاصيل هذه الحرفة.

(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٣.

(٢) العدواني: وظائف علماء الحجاز، ص ٨٤.

(٣) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٣٥٧؛ الملك المظفر، يوسف بن عمر: المخترع في فنون من الصنع، تحقيق: محمد صالحية، ط١(الكويت: مؤسسة الشراع العربي، ١٩٨٩م) ص ١٩.

المبحث الثاني

أنواع السلع الصادرة والواردة

كان لموقع مكة أثر كبير في نهضتها الاقتصادية، كما مثَّل عاملًا مهما من العوامل الإيجابية في انتعاش اقتصادها، وكثرة السلع التجارية بها وتنوعها، حيث كانت مكة ملتقى الطرق البرية والبحرية؛ وبذلك جُلِبت إليها مختلفُ السلع القادمة من سائر الأقطار الإسلامية، وخاصة في موسم الحج، وكانت أسواقها تعجُّ بحركة البيع والشراء، وتبادل السلع المختلفة.

وقد أسهمت حركة التبادل التجاري في مكة المكرمة في تعزيز التجارة الداخلية والخارجية لبلاد الحجاز عامة، ولمكة بشكل خاص، جَعَلَ لأسواقها أهميةً كبيرةً في بلاد العرب، حيث تستقبل مكةُ قوافلَ البر والبحر من جميع الأقطار الإسلامية طوال أيام السنة، وتزداد نشاطًا في مواسم الحج والعمرة، ولتنظيم حركة التبادل التجاري في تلك الأسواق، ظهرت هناك وظيفةُ المحتسب الذي تقوم مهامه على الإشراف على أمور السوق وشؤونه العامة، وفرض الضريبة على الأسواق، وقد تولى هذه الوظيفة في مكة بعض القضاة ، بحيث يضاف إلى القاضي مهمة المحتسب من أمثال القاضي أبي الفضل النويري، كما تضاف أحيانا إلى وظيفة المؤذنين من أمثال بهاء الدين الكازروني الذي ناب في الحسبة عن القاضي أبي الفضل النويري[١].

ومن أبرز الأسواق التجارية التي تمركزت فيها حركة البيع والشراء في موسم الحج والعمرة والتي أشارت إليها بعض المصادر اليمنية ما يلي:

(١) بامخرمة: قلادة النحر، ج٦، ص ٣٦٧، ٣٦٨. العناقرة، محمد محمود: الحياة التجارية والاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، د.ط(الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٥) ص ٨٠.

- **سوق مكة** ويعد من الأسواق القديمة والكبيرة أيام موسم الحج والعمرة، ويقع هذا السوق حول الحرم المكي في الجزء الشمالي الغربي لحائط المسجد، وفي الجهة الشمالية الشرقية منه، وكانت دار الندوة إلى جهة بني شيبة تابعة للسوق(١).
- **سوق منى** الذي يُعَدُّ من أسواق مكة القديمة والعامرة في أيام الحج، حيث يقيم فيه الحجاج أيام التشريق الثلاثة، وهو من أعظم الأسواق التي تباع فيها الجواهر النفيسة إلى أدنى الخرز، وسائر السلع المختلفة(٢).

ومما سبق يتضح بلنا أن المورخين اليمنيين ركزوا على ذكر الأسواق الموسمية القديمة، في حين لم ير ذكر للأسواق الحديثة والأسواق الدائمة بمكة(٣)، كما اكتفت المصادر اليمنية بذكر أهم السلع الصادرة والواردة من الأقطار الإسلامية.

كما أشارت بعض المصادر اليمنية إلى نشاط العلاقات التجارية بين مكة المكرمة واليمن، فقد كانت القوافل التجارية مرافقة للحجاج في كل عام(٤)، وتكون محملة بالبضائع والسلع التجارية التي تصدرها بلاد اليمن إلى مكة من منتجات

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٦. العناقرة: الحياة التجارية والاقتصادية في الحجاز، ص ٨١.

(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٦. التجيبي: مستفاد الرحلة، ص ٣٤٢. مورتيل: الأحوال السياسية، ص ١٧٣. العناقرة: الحياة التجارية والاقتصادية في الحجاز، ص ٨٣.

(٣) الأسواق الموسمية الحديثة سوق الصفا والمروة، والأسواق الدائمة مثل سوق العطارين (سوق النداء)، وسوق العلافة إلى غير ذلك. االعناقرة: الحياة التجارية والاقتصادية في الحجاز، ص ٨١، ٨٢.

(٤) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص ١٣٦، ١٥٨، ١٥٩.الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ٢١٩؛ ج٢، ص ٢٤٥، ٢٤٧. الأهدل: تحفة الزمن، ج١، ص ٣٤٠.

حيوانية وزراعية وغير ذلك[١]، ولم يقتصر الأمر على حجاج اليمن، بل كانت عادةُ كلٍّ من قصدوا مكة لأداء فريضة الحج أن يجلبوا معهم ما تنتجه بلادهم من سلع، فيعرضونها في أسواق مكة، ثم يعود الجميع من موسم الحج محملين بالبضائع التي استوردها أهل مكة من البلدان المجاورة، ففي سنة(٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م) بلغ حجم القوافل التجارية اليمنية التي خرجت من مكة باتجاه جدة عقب انتهاء موسم الحج قافلتين، تضم كل قافلة منهما أكثر من ألف جمل، متجهة إلى بلاد اليمن[٢].

أولاً: الواردات:

اتصفت مكة –بشكل عام– بقلة الموارد الطبيعية وندرتها، وما تمتلكه يستهلك محلياً؛ ولهذا اعتمدت على استيراد ما تحتاجه من بضائع متعددة من الأقطار الإسلامية؛ مما جعل مكة تعدُّ مركزًا لالتقاء التجار، ومكانًا حيويًّا لتسويق بضائعهم في موسم الحج؛ وعليه فقد كان يرد إليها العديد من السلع المختلفة من شتى بقاع الأرض، كما اعتمدت مكة على القرى المحيطة بها من أمثال وادي مر، ووادي نخلة، وكذلك منطقة الطائف في تلبية احتياجاتها الزراعية، حيث إنها تُعَدُّ من أهم المناطق الزراعية في تلك الناحية، وتكثر فيها البساتين التي يقصدها بعض أهالي مكة؛ للتزود منها بالمنتجات، وكذلك للتنزه في بساتينها[٣]، وفيما يلي توضيح لأهم واردات مكة من الأقطار الإسلامية من خلال ما ذكرته المصادر اليمنية:

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ج٢، ص ٧٩٠.

(٢) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٢٤٥، ٢٤٧. مورتيل: الأحوال السياسية، ص ١٨٠.

(٣) الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص ٥٧.

أ. وارادات مكة من بلاد فارس:

كان هناك العديد من السلع التي ترد إلى أسواق مكة من بلاد فارس، ثم تصدر غالبيتها بعد ذلك إلى البلاد القريبة مثل بلاد اليمن ومصر والمغرب والأندلس عبر ميناء جدة، عن طريق تجار تلك البلدان الذين يعودون بأشهر بضائع بلاد فارس التي عرضت بأسواق مكة، ومن أشهر تلك السلع، ويأتي في مقدمتها الحرير الخام (إبريسم)(١) الذي يردها من جزيرة قيس(٢)، و الثياب الشيرازية، وثياب الديباج والحرير، وأقمشة الكتان الملونة، والعمائم الفاخرة، والكحل الأصبهاني، كذلك الأطباق النحاسية (المَعاشِر)(٣) متعددة الأشكال والأحجام(٤).

ب. واردات مكة من العراق.

كما استورد التجار المكيون من العراق البُرود(٥)العراقية، والأقمشة الفاخرة

(١) لفظ فارسي يطلق على الحرير الخام. مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤٠٩.

(٢) جزيرة قيس أو كيش، وهي جزيرة إيرانية في الخليج العربي، وهي مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة، وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس، وقد اشتهرت هذه الجزيرة في العصور الوسطي بإنتاج الأقمشة، وأهمها الحرير وغيرها من المنتجات. الحميري، محمد بن عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، د، ط (د.م: مكتبة لبنان، ١٩٧٤م) ص ٥٠٥. الحسيني، الحسن بن علي: ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله، ط١(د.م: دار الوفاق، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م) ص ٤٢١، هامش رقم ٦٨٠.

(٣) المعاشر: مفردها معشرة، وهي صحون من النحاس أو الخشب. مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٢٤، هامش رقم ١٩٢.

(٤) مجهول: نور المعارف، ج١، ص٤٠٩، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٣٦، ٤٥٥.

(٥) البُرد: جمع برد، وهي ملابس فوقانية تنسج من الصوف والحرير، وتكون على شكل قطعة طويلة من القماش الصوفي السميك، أما لون القماش فأسمر، أو رمادي، وتنسج في =

من القطن والكتان والثياب العتابية[١]، والمنسوجات الحريرية وخاصة المناديل والعمائم، وكذلك ماء الورد العراقي، وورق الكاغد[٢] الذي يباع في أسواق مكة ثم يصدر بعد ذلك إلى اليمن[٣]، بَيْدَ أنَّ انقطاع حجاج العراق عن القدوم إلى مكة لمدة سبع سنوات؛ لسوء الأوضاع السياسية التي تسببت بها هجمات التتار من بغداد؛ كان له تأثير على تجارة مكة في تلك الفترة، خاصة أنها كانت تعتمد في اقتصادها على ما يردها من السلع الخارجية، وقد عادت تلك القوافل للقدوم إلى مكة بصحبة الحجاج حينما استقرت الأوضاع بها، ومثَّلت سنة(٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) بداية عودة الحجاج والقوافل التجارية إليها[٤].

ج. **واردات مكة من الشرق الأقصى والهند:**

ورد إلى مكة من الشرق الأقصى والهند الحرير الخام، والثياب الحريرية

=

بلاد الهند وفارس ومصر والعراق واليمن. دوزي، رينهارت: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، ط١(بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) ص ٥٨.

(١) الثياب العتابية: صنف من القماش الخشن يتخذ من الحرير والقطن، مخطط بحمرة وصفرة، وقيل هو نسيج متوج متلمع، كان يصنع في حي العتابية في بغداد. الحسيني: ملخص الفطن والألباب، ص ١٠٣، ٣١٤.

(٢) الكاغد: لفظة فارسية تعني القرطاس، والكاغدة هي الورقة، وجزء من ورقة، وجمعها كواغد. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٩، ص ١١٠؛ الحسيني: ملخص الفطن والألباب، ص ٣٤٥، هامش رقم ٤٦٩.

(٣) الحسيني: ملخص الفطن والألباب، ص ٣٤٥.مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤١١، ٤١٩، ٤٥٠.

(٤) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٧٠، ٧١؛ يحيى بن الحسن: غاية الأماني، ص ٤٢٦، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٩.

والقطنية، وكذلك البهارات، والمسك الهندي والصيني، والعود الفاخر، والبخور والعطور المتنوعة والفاخرة، ومن أشهر وارداتها أيضاً التحف الهندية والفخار الصيني، والأواني النحاسية، وكذلك حجر التوتياء[١] والأحجار الكريمة من الألماس والياقوت الأحمر والفضة[٢].

كما كانت تجارة الرقيق والجواري من السلع التي كان لها سوقُ رائجُ في مكة، ويشهِد موسم الحج رواجًا لهذه التجارة، حيث كانت من ضمن الواردات التي تصل إلى مكة من تلك الجهات، كذلك فإن أغلب الهدايا التي يبعثها أشراف مكة وتجارها إلى جهة اليمن كان من ضمنها الرقيق والجواري؛ مما يؤكد على كثرتهم وازدياد أعداهم [٣].

د. واردات مكة من اليمن.

ورد العديدُ من السلع التجارية إلى مكة من اليمن، وفي مقدمتها المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها بلاد اليمن مثل التمر والدخن والذرة بأنواعها، وكذلك السمسم (الورس) واللبان، والقمح والحنطة وسائر الحبوب، والسويق والعسل والسمن والزبيب واللوز والفواكه[٤]، إلى جانب الجلود وخاصة

(١) وهو حجر له عدة ألوان منها الأخضر، والأصفر، والأبيض وهو من أجودها، ويغسل ويتم استخدامه كدواء للقروح السرطانية، ولغيرها من القروح الخبيثة. المظفر الرسولي، يوسف عمر: المعتمد في الأدوية المفردة، ضبط وتصحيح: محمود الدمياطي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠م) ص ٤١.

(٢) الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٢، ص ٥١٣. الحسيني: ملخص الفطن والألباب، ص ٩٨، ٩٩.

(٣) الأشراف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٤، ص ٥١٣. الخزرجي: العسجد المسبوك، ج١، ص ٥٠٦. المصري: تاريخ الدولة الرسولية، ص ٢٢٩، ٢٨٣.

(٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣١٧، ٣١٩. العناقرة: الحياة التجارية والاقتصادية، ص ١٣٨.

جلود البقر، إذ تعد اليمن من أهم البلاد المصدرة له إلى مكة المكرمة، بالإضافة إلى أنواع من الطيوب والعقاقير الطبية والنباتية مثل المسك والطيب والعود والصندل والعنبر والزعفران والعصفر(١)، كذلك الثياب الملونة من الحرير والقطن والكتان(٢)، والمنسوجات القطنية (الشاش الزبيدي)(٣) نسبة إلى موطنها.

وتصل هذه المنتجات والسلع إلى مكة بصفة دائمة، وبخاصة في موسم الحج(٤)، عبر ميناء الحادث(٥) الذي ازدهر في عصر الدولة الرسولية، وكانت أغلب المنتجات اليمنية تصدر منه باتجاه مكة، إلى جانب تصديرها للبضائع التي تردها من الهند والصين مثل الأخشاب والإهليج(٦) والصابون والقرنفل

(١) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٨٣، ١٠٨، ١٧٥. الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج١، ص ٤٠٦، ٤٩٥؛ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ٣٥. العناقرة: الحياة التجارية والاقتصادية، ص ١٣٨.

(٢) ابن الديبع: الفضل المزيد، ص ٩١، ٣٢٩. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ١٢٤، ٢٧٩.

(٣) وهو نوع رقيق من المنسوجات القطنية البيضاء، وتميزت برقتها وجودتها. الحسيني: ملخص الفطن والألباب، ص ٣١٧. البريهي: طبقات صلحاء اليمن، ج٢، ص ٧١.

(٤) الأهدل: تحفة الزمن، ج٢، ص ٩. البريهي: طبقات صلحاء اليمن، ج٢، ص ٧١. العمري، علي بن صالح: الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز منذ ظهور الدويلات المستقلة حتى نهاية الحكم الأيوبي في بلاد اليمن (٢٠٤- ٦٢٦هـ/ ٨١٩- ١٢٢٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة القصيم، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص ١٠٩.

(٥) الحادث قرية على ساحل بحر اليمن، وبها ميناء محدث ظهر زمن حكم دولة بنى رسول، ثم أخذ في الاندثار بعد ذلك. مجهول، ارتفاع الدولة المؤيدية، تحقيق: محمد جازم، ط١(صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٨م)، ص ١١٤.

(٦) شجرة تشتهر بجودة أخشابها التي تدخل في أعمال التجارة، ولها ثمار لها استخدامات عديدة. مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٣٠.

والياقوت واللؤلؤ والحرير(١).

ثانياً: الصادرات:

لا شكَّ أنَّ صادرات مكة تُعَدُّ قليلة ومحصورة في عدد من المنتجات آنذاك، بالإضافة إلى أنَّ غالبية ما تصدره مكة من بضائع كان يرد إليها إما عن طريق القرى والمناطق المجاورة لها– بخاصة الطائف –(٢) أو من منتجات الأقطار الإسلامية الأخرى، وقد حصر لنا نور المعارف صادراتِ مكةَ التي تردها من العراق وبلاد فارس والهند وغيرها ممن تصل سلعهم إلى مكة، ومن ثم تصدر إلى اليمن، كما ساعدت التسهيلات التجارية التي فرضتها بلاد اليمن – مثل إعفاء البضائع القادمة من بلاد الحجاز ومصر وبلاد الحبشة عن طريق البحر الأحمر من رسوم الشواني(٣) والاكتفاء برسوم العشور– على زيادة التبادل التجاري بين مكة واليمن(٤)، وعملت أيضًا على تشجيع التجار اليمنيين على مزاولة التجارة، وسير القوافل التجارية سنوياً باتجاه مكة.

هذا وقد كان من أبرز صادرات مكة إلى اليمن– كما دونتها بعض المصادر اليمنية– الثياب التيمية، والتي تنسب إلى بطن من قريش، وهم تَيْم بن

(١) الحسيني: ملخص الفطن، ص ٤٢٨، هامش رقم ٧٠٦؛ مجهول: نور المعارف، ج١، ص ١٠٨.

(٢) العمري: الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز، ص ٨٨.

(٣) الشواني: هي السفن الحربية التي تقوم بحماية سفن التجار من القراصنة، وبدأ أخذ رسومها في عدن من التجار في عهد سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، ثم في عهد الملك المسعود كانت تأخذ رسوم الشواني وإن لم تسافر، فأبطل رسوم الشواني، واكتفى برسوم العشور، وهي الرسوم التي تُؤخذ على البضائع. ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر، د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م) ص ١٦٠، ١٦١.

(٤) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤٠٩.

مرة[١]، حيث مارست قبيلة تيم هذه الحرف[٢]، واستمرت لأجيال تنتج مجموعة من الثياب التي كانت من صادرات مكة إلى بلاد اليمن في فترة البحث.

إلى جانب نقل الكثير من أشجار النخيل[٣] من مكة والمدينة المنورة إلى بلاد اليمن، حيث تم تصدير أشجار النخيل لليمن لزراعتها مثل نخيل الثعل[٤]، والتي تنتج من أجود أنواع التمور، وتمتاز بطيب ثمارها، إلى جانب تصدير العسل من مكة، إذ عُرِف عن سكانها تربية النحل، وإنتاج نوع من العسل المعروف بـ "العسل المسعودي"[٥].

ومن صادرات مكة المكرمة من النباتات الطبية التي استخدمها أهل اليمن وأشار إليها المظفر الرسولي[٦]، من أمثال الحبة السوداء وتعرف عند أهل مكة بالبشمة، وعند أهل اليمن بالتشمة، وتستخدم في أوجاع العين والرمد، ومن الأحجار حجر البسر الأبيض، وهو نافع لإزاله الحصى ويقوي القلب ويستخرج من بحر جدة، كذلك نبات الشورة النابت في بحر جدة، ويفيد صمغته في أوجاع الأسنان، إلى جانب استخدامهم الصدف الذي يستخدم لعدد من الأمراض بعد أن يجفف، وكذلك المقل المكي (الدوم).

---

(١) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤٢١.

(٢) الرحيلي، عبد الودود: مكة المكرمة في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م، ص ١٧٣.

(٣) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤٠٢.

(٤) نخل الثعل: نوع من النخيل ينتج رطبًا يسمى (الثعل)، وهو ما زال معروفًا باسمه ونوعه في زبيد. مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤٠٢، حاشية (٣٠١١).

(٥) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤٤٣؛ حسين، جميل حرب: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ط١(جدة: تهامة للنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ١٢٥.

(٦) المعتمد في الأدوية، ص ٣٩، ٦٧، ١٩٩، ٢٠٥، ٣٦٥.

كما تُعَدُّ الجلود من أهم صادرات مكة، والتي تصدر إلى العديد من الأقطار الإسلامية، حيث يزداد الطلب عليها في بلاد الشام والعراق ومصر، وكذلك اليمن، ومما يؤكد ذلك تصنيفها من أجود أنواع الجلود بين الرقة والغلظة، مع صفائها، وجودة دباغتها؛ مما جعل الأديمَ الطائفي من أكثر الجلود استخداماً في الصناعات اليمنية(١).

ومن الملاحظ بأن المصادر اليمنية ركزت في ذكر السلع الصادرة والواردة على ما يمر عبر ميناء عدن وعلى أهم السلع التي تستوردها مكة من الأقطار الإسلامية الأخرى ثم يعاد تصديرها إلى بلاد اليمن، إلى جانب أهم صادرات مكة المكرمة المحلية.

(١) الملك المظفر: المخترع في فنون من الصنع، ص ١٩، مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٣٥٧.

المبحث الثالث

المعاملات التجارية والأزمات الاقتصادية

أولًا: العملات المتداولة:

تعد النقود بمنزلة العمود الفقري للنظام الاقتصادي؛ ذلك أن قيمتها وقوتها الشرائية تساعد في توسيع نطاق السوق، وزيادة حجم المعاملات التجارية، وقد استطاعت مكة المكرمة بمكانتها الدينية ان تصبح معقلا لأوسع الأنشطة التجارية وأن تنصب فيها جميع العملات المتداولة في تلك الفترة، سواء تلك التي يجلبها الحجاج والتجار أو التي يرسلها سلاطين وأمراء الأقطار الإسلامية كهبات وصدقات لتوزع في الحرمين الشريفين، وبذلك أصبحت مكة سوقاً دولية للعملة، تستعمل فيها جميع العملات(١)، وبالنسبة للمعاملات التجارية في مكة –من خلال ما ذكرته المصادر اليمنية– فتعد الدنانير الذهبية والدراهم الفضية من أهم وسائل التعامل التجاري في البيع والشراء في مكة.

حيث اعتمدت المعاملات التجارية في مكة على العملات التي ضربت فيها، فضلًا عن عملات البلدان التي كانت تبسط سيادتها عليها، ومنها الدرهم الكاملي(٢) الذي ينسب إلى الملك الكامل الأيوبي(٣)، ويعرف أيضًا بالدرهم النقرة،

(١) الحسن، سعاد إبراهيم: النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٥٦.

(٢) ويتكون من ثلثي فضة وثلث نحاس. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٣،٤، د.ط (د.م: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) ص ٤٤٣، ٢٧٥؛ مورتيل، ريتشارد: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ط١(الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ١٩٤.

(٣) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٣٥٨، ٣٥٩.

وقد أَمر الملك الكامل بضربه في مصر سنة(٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وتم التعامل به في مكة.

وظهر إلى جانبه الدرهم المسعودي[١]، والذي ينسب إلى الملك يوسف بن الملك الكامل محمد الأيوبي، صاحب اليمن، ومن المرجح أنه أمر بضربه بمكة خلال فترة حكمه لها، بين سنة(٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)[٢] وسنة(٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، وظل التعامل بالدراهم المسعودية قائماً في مكة إلى نهاية العصر المملوكي[٣].

كما تم التعامل في مكة بالدراهم المظفرية[٤] التي سكَّها المظفر الرسولي، وذلك في حدود سنة(٦٤٧هـ – ٦٩٤هـ/ ١٢٥٠– ١٢٩٥م)، حيث حمل الدرهم اسم مكة كمكان للسك[٥]، واقتصر التعامل بها في ظلِّ السيادة اليمنية التي تبدأ من حدود ظفار شرقًا إلى عدن والبحر الأحمر غربًا، وإلى مكة شمالاً، ولم تتعدَّ هذا النطاق، بعكس الدراهم الكاملية التي انتشر التعامل بها في نطاق واسع[٦]،

(١) وهو من الفضة الخالصة، مربع الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، وهو في المعاملات يساوي ثلثي الدرهم الكاملي. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ٢٧٦.

(٢) حمدي، محمد السيد: درهم نادر ضُرِب في مكة باسم الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر حاكم بني رسول. مجلة المسكوكات الإسلامية، ع٢(مصر: مركز المسكوكات الإسلامية، ٢٠١٩) ص ١٣٦.

(٣) مجهول: نور المعارف، ج١، ٣٥٨، ٣٥٩. الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ٤٦٨. مورتيل: الأحوال السياسية، ص ١٩٤.

(٤) سُكَّ هذا النقد على وزن الدراهم المظفرية التي سكَّها بزبيد، حيث ضربت على وزن نصف قفلة أو زيادة، وهي ما تعادل٢،٩٧جم، وهي الوزن الشرعي للدراهم الإسلامية، والنصف يساوي ١، ٤٩ جم. انظر: حمدي: دراهم نادر ضرب مكة، ص ١٣٥.

(٥) حمدي: درهم نادر ضرب مكة، ص ١٣٥،١٣٤.

(٦) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٣٦٧.

وربما يرجع سبب قلة التعامل بها في مكة إلى عدم استمرار تبعية مكة للدولة الرسولية لفترة طويلة، كما قلَّ ذكرها في المصادر، حيث لم ترد إلا لدى نور المعارف، الذي أوضح أن رواجها بمكة كان قليلًا، ولم يكن يرغب أهل مصر والشام والعراق وسائر الأمصار والأقاليم إلا بالتعامل بالدراهم الكاملية.

وفي سنة(٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) أمر السلطان الملك الأشرف برسباي بضرب دنانير عُرفت بالأشرفية، وكان وزنها ٣.٤١جرامات من الذهب، وقد عرف الدينار الأشرفي بمكة لأول مرة في موسم الحج من سنة(٨٣٤هـ/ ١٤٣١م)، وظل التعامل به مستمرًّا في مكة إلى نهاية العصر المملوكي[١]، وأشارت المصادر اليمنية إلى تعامل الأشراف بها في سنة(٩١٤هـ/١٥٠٩م)، وذلك في عهد الشريف بركات.

ومن الملاحظ أنه أُستعمِل في مكة الكثير من العملات المتداولة في العصر الإسلامي، وتنوعت تلك العملات بها؛ نتيجة لجلب التجار والحجاج لعملات بلدانهم، والتي تكثر في موسم الحج، وأشار نور المعارف[٢] إلى عملة تضرب بمكة في شهر ذي القعدة وذي الحجة من كل عام، وتعرف بالقيسانية، ويتعامل بها في حدود مكة فقط، بقوله: "والدراهم القيسانية تخرج بمكة لا غير، وصرفها بالكاملية في الموسم بشهر ذي القعدة وذي الحجة، يضربون دراهم قيسانية جدداً، ويكون صرف المائة الكاملي بخمسة وثلاثين دينارًا قيسانية، ثم ترخص القيسانية؛ فتكون أربعين دينارًا، ثم بعد سفر الحاج تكون خمسة وأربعين دينارًا قيسانية بمائة كاملي"، وتم التعامل بها في فترة الشريف أبي نمي، وربما قام بسكِّها في مكة في دار ضرب النقود التي بناها الناصر صلاح الدين الأيوبي في

(١) مورتيل: الأحوال السياسية، ص ١٩٥، ١٩٦.

(٢) مجهول، ص ٣٥٨، ٣٥٩.

مكة في حدود سنة(٥٨٣هـ/ ١١٨٨م) [١]، أو ربما يرجع الدينار القيساني إلى جزيرة قيس[٢]، والتي عرفت بمنتجاتها التجارية التي كانت تصل إلى مكة في تلك الفترة، وتم التعامل بها في مكة[٣].

ثانيًا: المكوس[٤]:

تُعَدُّ المكوس من الموارد المالية التي حرص أشراف مكة على جبايتها من أعمال مكة مثل الطائف ووادى مر وغيرها، وتتروح بين الاعتدال والارتفاع تمشياً مع الأحوال الأمنية وظروف العلاقات الخارجية، وهي نوعان، نوع أطلق عليه "مكس الحاج" والتي يدفعها الحجاج مقابل تمكينهم من الدخول إلى مكة، ونوع آخر أطلق عليه " مكس التجارة" الذي يفرض على التجار عبر الثغور القادمين إلى مكة أو الخارجين منها[٥].

فعندما بسط السلطان المنصور الرسولي سيادته على مكة أصدر سنة

(١) حمدي: درهم نادر ضرب مكة، ص ١٣٦.

(٢) رمضان، عاطف منصور: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، ط١(القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٨م، ص ٦٠٤.

(٣) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤١١؛ الحسيني: ملخص الفطن، ص ٤٢١.

(٤) المكوس: جمع مكْس، وهو مشتق من مكَسَ؛ أي استنقص الثمن، والمكوس هي الضرائب التي يأخذها المكَّاس على كل ما يفرض من مال أو عين، وهي ما يسمونها بعشور التجارة. البستاني، المعلم بطرس: محيط المحيط، د.ط (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م) ص ٨٥٩؛ المطرزي، برهان الدين ناصر: المُغْرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري، عبد المجيد مختار، ط١(حلب: مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢٧١.

(٥) مجهول: نور المعارف، ج١، ص ٤٠٩. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٧٦. الحسن: النشاط التجاري في مكة المكرمة، ص ٢١٥.

(٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م) مرسومًا بإلغاء المكوس، وأسقط الجبايات والمظالم[١]؛ لتخفيف الأعباء على التجار والحجاج، والتي أسهمت بدورها في استقرار الأسعار وثباتها، ورغم ذلك فقد كان أمراء مكة ما يلبثون أن يعيدوا تلك المكوس كلما انقطعت عنهم الإمدادات، أو عاني أحدهم من ضائقة مالية، فيعتدون على التجار والحجاج بالاستيلاء على أموالهم، ويفرضون المزيد من المكوس، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث بعد تولي محمد بن المسيب إمرةَ مكة سنة(٦٤٦هـ/١٢٤٩م)، فقد أعاد المكوس والجبايات ولم يكتفِ بذلك، بل تعدى على الأموال المخصصة للصدقات والزكاة، وقطع أرزاق الجند[٢]؛ وذلك لحاجته الماسة لجمع الأموال التي يؤديها للسلطان الرسولي من مكة.

وفي سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م) استحدث الشريفان رميثة وحميضة بعض المكوس على الحجاج، وظل العمل بها جاريا لبضع سنوات، وقد عانى الحجاج من ذلك، فأمر السلطان المملوكي بإلغائها إلا أن الشريفيْن أبيَا إلا أن يظل العمل بها؛ لاستخدامها في مرافق الحكومة وإقامة الأمن وتحسين السبل [٣].

واستمرت معاناة الحجاج وقاصدي مكة للحج والعمرة في أوقات الصراع بين أمراء مكة؛ وذلك لحاجتهم إلى الإمدادات التي تجعل القادمين إلى مكة عرضة للسرقة والنهب تحت مسمى المكوس، ففي سنة(٧١٢هـ/١٣١٣م) تعدَّى رميثة وحميضة على أموال التجار والواصلين إلى مكة، وأعملا فيها نهبًا

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٤٢٦؛ ابن حاتم: السمط الغالي، ص ٢٢٢؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٧٠؛ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ٢٠٩.

(٢) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٧٧؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٤٣١.

(٣) الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٢، ص ٥٣٦. الخزرجي: العقود اللؤلؤية: ج١، ص ٣١٦. الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٢٣٤. السباعي: تاريخ مكة، ص ٣٠٤.

شديدًا[١].

ومع وصول الشريف حسن بن عجلان إلى شرافة مكة، اتصفت بداية حكمه بالاستقرار السياسي؛ مما شجع التجار على القدوم إلى مكة، فقد ألغى ثلث المكوس التي كانت تؤخذ من التجار في جدة، وعني بإعادة الأمن والاستقرار إلى إمارته، وحافظ على سلامة التجار أثناء إقامتهم بجدة ومكة، وفي تنقلاتهم بينهما، وكانت النتيجة أن عاد تجار اليمن إلى جدة، وزادت إيرادات أمير مكة من المكوس المفروضة على بضائعهم، ويصف أحد التجار اليمنين حسن استقبال الشريف حسن ابن عجلان لهم في جدة سنة(٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) وأنه قام بإعفاء التجار من المكوس التي تأخذ عليهم في ميناء جدة، وفي سنة(٨٠١هـ/ ١٣٩٩م) منع الشريف حسن القواد من إساءة معاملة تجار اليمن، وخرج بصحبتهم حتى وصلوا إلى جدة سالمين، مما أسهم في زيادة عدد التجار الواصلين لمكة في السنة التي تليها[٢].

إلا أن الأوضاع أخذت في التغيير في سنة (٨١٦هـ/١٤١٤م) حيث أساء غلمان الشريف حسن ابن عجلان معاملةَ الحجاجِ والتجارِ اليمنيين، وأجبروهم على دفع المكوس؛ فلجأ أهالي اليمن للقاضي أمين الدين مفلح، وكان من تجار اليمن البارزين، وطلبوا منه أن يتدخل لدى الشريف حسن بن عجلان؛ من أجل تخفيف المكوس عليهم، إلا أنَّ تدخله لم يجْدِ في الأمر شيئًا، ولم يراعِ قدرَ القاضي أمين الدين مفلح أو منزلته التجارية والاقتصادية، حيث كان يمتلك الكثير من السفن التجارية، ولكثرة تعامله مع التجار في مكة وشهرته؛ فقد كان

(١) الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٢، ص ٥٥٠. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٣٣٠.

(٢) البريهي: مختصر طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٢٧. ابن فهد: غاية المرام، ج٢، ص ٢٥٩، ٢٦٠. مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية، ص ١٨٠.

يتدخل في كثير من الأحيان لمساعدة التجار اليمنيين والحجاج، والشفاعة لهم في تخفيف الضرائب والمكوس التي تُؤخذ منهم في مكة(١).

وتحت وطأة تلك الضرائب والمكوس اُضطرَّ كثير من التجار اليمنيين المجاورين بمكة إلى تغيير مسار تجارتهم، وأصبح الكثير منهم يفضلون الذهاب إلى مصر للتجارة وللإقامة بها بدلًا من مكة، من أمثال التاجر خضر بن إبراهيم تاجر الكارم (٢) (ت: ٨٢٠هـ/ ١٤١٨م)(٣)، إلى جانب اتخاذ السلطان المجاهد موقفاً من أشراف مكة بسبب كثرة المضايقات والمكوس التي يفرضونها على تجار اليمن، فقد منع تجار اليمن من التوجه إلى مكة للتجارة، حتى يرجع الشريف حسن أموال التجار التي أخذها منهم من أمثال التاجر وجيه الدين بن جميع(٤).

وحدث في كثير من الأحيان أعمال نهب وسلب لأموال التجار في مكة، وخاصة في أوقات الحروب والنزاعات بين الأشراف، مثلما حدث سنة(٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) عندما شبَّ النزاع بين الشريف هزاع مع أخيه الشريف بركات بن محمد؛ مما نتج عنه نهب الكثير من أموال تجار مكة، وبلغ ما تم أخذه منهم نحو سبعة آلاف أشرفي(٥).

(١) المصري، تاريخ الدولة الرسولية، ص ١٧٨، ١٨٠. الثورات الداخلية، ص ١١٠.

(٢) الكارم: لفظ يطلق على فئة تجار الكارم أي كبار تجار التوابل والبهارات الذين كانوا يتاجرون بها من الهند والشرق الأقصى، وكان مركز نشاطهم الرئيس في المحيط الهندي. لبيب، صبحي: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، ع ٢، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، ص ٥، ٦٣.

(٣) بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ١٠١.

(٤) المصري: تاريخ الدولة الرسولية، ص ١٧٨. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٤٩٤.

(٥) بافقيه: تاريخ الشحر، ص ٤٩. بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص ١٠٥، ١٠٨.

هذا وقد كانت القوافل تأتي إلى مكة من جهة جدة؛ كونها المرفأ التجاريَّ لها، ومن عادة القوافل التجارية أن تكون محملةً بالأطعمة والمؤن؛ لذلك تعرَّضتْ في كثيرٍ من الأحيان للنهب والسرقة من قبل الأشراف، مثلما حدث بعد عودة الشريف بركات من معتقله في مصر متجهًا إلى مكة سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٤م، حيث منع الناس من الوقوف بعرفة؛ حتى دفع له أمير الحج أربعة آلاف أشرفي، كما قام أتباعه بنهب القوافل التجارية القادمة من جدة، وكان معظمها من أهل زبيد [١].

وكان الأشراف يقومون بأخذ الأموال من الحجاج عن طريق الاقتراض، أو الضمان بأن يضمن بعضهم بعضًا، ومن ذلك ما فعله الشريف بركات في سنة(٩١٥هـ/ ١٥١٠م) عندما منع حجاج البر اليمنيين من الحج، أما حجاج البحر فقد استطاعوا الدخول، إلا أن الشريف اقترض منهم مبالغَ كبيرةً، حيث اقترض من أهل زبيد ستمائة أشرفي ذهبًا، ومن أهل صنعاء ثمانمائة أشرفي، ومن أهل بيت الفقيه ابن حشيبر[٢] ألف أشرفي، وحدث ذلك بسبب أن الشيخ عفيف بن مرزوق نزل في صحبته جمعٌ كثيرٌ من حجاج البحر سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٩م)؛ ونظرًا لمخالفة الريح في البحر، وعدم إجرائها لهم؛ فقد خسر الشريف مبلغاً كبيرًا من أموال الجباية[٣].

إلا أن الأشراف في أوقات الغلاء وارتفاع الأسعار كانوا يلجؤون إلى إلغاء

(١) ابن الديبع: الفضل المزيد، ص٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) ابن حشيبر: اسم تصغير لحشبر، وهو لقب جماعة من قدماء شيوخ اليمن، منهم الوالي الكامل علي بن أحمد بن عمر بن حشيبر، وعمه الفقيه محمد بن عمر بن حشيبر، وهم من بنى هليلة بن شهب بن بولان بن شحارة، وفيهم محدثون وفقهاء. الزبيدي: تاج العروس، ج١١، ص ٢٤.

(٣) ابن الديبع: الفضل المزيد، ص ٣١٩.

المكوس، وتخفيفها على الحجاج والتجار، مثلما حدث في سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م) عندما أسقط شريف مكة حميضة ورميثة جزءًا من المكوس [١].

ومما سبق يتضح لنا أن أشراف مكة كانوا يعتمدون على المكوس – إلى جانب الأعطيات السنوية من السلاطين– في توفير مواردهم المالية، ولاستخدامها في مرافق الحكومة وتحسين السبل، وفي الأوقات التي تقل فيها مواردهم كانوا يلجؤون إلى رفع المكوس، واستحداث الضرائب، وأعمال السلب والنهب؛ مما جعل التجار والحجاج عرضة للسرقة والظلم في كثير من الأحيان.

ثالثًا: الأزمات الاقتصادية وأثرها على الأسعار:

غالبا ما تنشأ الأزمات الاقتصادية لأسباب طبيعية أو بشرية، وتمثلت الأسباب الطبيعية في مكة في انتشار الأوبئة والأمراض، أو انعدام سقوط الأمطار لفترات طويلة؛ مما أدَّى إلى حدوث الجفاف والمجاعات، أما الأسباب البشرية فتمثلت في الفتن والصراعات الداخلية بين أمراء مكة، أو نشوب الصراعات الخارجية؛ مما يؤدي في جميع الحالات إلى قطع المؤن عن مدن الحجاز، وخاصة مكة، وتؤدي كل هذه الأسباب إلى حدوث أزمات اقتصادية ومالية، تؤثر على السكان؛ وتنعكس بالتالي على ارتفاع الأسعار وغلائها، وقد رصدت المصادر اليمنية بعض الأمثلة على تلك الأزمات التي حلت بمكة، وأدت بدورها إلى ارتفاع الأسعار وحدوث الغلاء، ومنها ما يلي:

في سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م) قلَّت المياه بمكة؛ فارتفعت الأسعار؛ حتى بلغ سعر المد من الحنطة عشرين درهمًا، والذرة ستةَ عشرَ درهمًا، وبلغ سعر الشعير بأربعين درهماً، وحصل للحجاج في تلك السنة مشقة؛ لهبوب رياح محرقة هلك

(١) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص ٢٣٨. الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٢، ص ٥١٩. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٢٩٩. الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٢٣٤.

بسببها خلق كثيرة نتيجة جفاف الماء [١].

وفي سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) حدث قتال بين المصريين والحجازيين في مشعر منى، ولا شكَّ أنه خلَّف العديد من الآثار، ومن ذلك الإخلال بالأمن في موسم الحج، وكثرة القتلى، وإثارة الخوف والرعب في قلوب الحجاج، إلى جانب إعاقة حركة البيع والشراء، وتعرض الأسواق– ومنها السوق الذي يقام في منى أيام التشريق– للسلب والنهب، وأدَّى ذلك – بلا شك – إلى رفع الأسعار وقلة ما عرض بها من سلع [٢].

وفي سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م) حدث وباء أصاب خيل اليمن ثم شاع حتى وصل إلى مكة، وفني فيها من الخيل مالا يعرف عدده، ولا يمكن حصره، ثم من البغال كذلك، وتلفت من خيل الموسم بعدن شيء كثير، ومن شدة الوباء وفتكه صوَّره لنا بعض المؤرخين بقوله [٣] "وكان الرجلان يتساومان في الحصان فيموت قبل عقد البيع بينهما"، في حين أن المصادر المكية[٤] لم تذكر شيئاً من ذلك، وربما يكون أثرها مقتصرًا على بلاد اليمن وعدن.

---

(١) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص ٢٣٧، ٢٣٨. الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٢، ص ٥١٩. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٢٩٩. نواف، زبن خلف: الأزمات الاقتصادية في الحجاز وأثرها على مستوى المعيشة للفترة من ٦٤٨هـ إلى ٩٢٣هـ ودور المماليك في معالجتها، مجلة مداد الآداب، مج٨، ع ١٤(بغداد: الجامعة العراقية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م) ص ٢٩١.

(٢) ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص ٢٤٥.الأشرف الرسولي: فاكهة الزمن، ج٢، ص ٥٢١. الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٣٠٣. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ١٤٣.

(٣) المجاهد الرسولي: الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، ط١(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ٢٧٥.

(٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ١٨٥.

ومن أمثلة الكوارث الطبيعة هطول الأمطار الغزيرة والسيول؛ والتي أثرت بشكل كبير على اقتصاد مكة، ومن ذلك ما حدث سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٥م) من هطول أمطار غزيرة أصابت السفن القادمة إلى مكة في موسم الحج؛ مما أدى إلى غرق خمس سفن كانت متجهة إلى مكة على ساحل المخلاف السليماني، ومما لا شك فيه أن اقتصاد مكة قد تضرر بشكل كبير في تلك السنة؛ بسبب نقص السلع التجارية؛ مما كان له من تأثير في ارتفاع الأسعار، فبلغ سعر غرارة الحنطة ثلاثمائة وثلاثين درهماً[١].

كما أن استمرار سوء معاملة تجار اليمن في مكة، إلى جانب سوء الأوضاع السياسية؛ كان سببًا رئيسًا في رجوع الحجاج والتجار إلى اليمن؛ مما تسبب في ارتفاع الأسعار وخاصة في المنتجات التي تستوردها من بلاد اليمن كالحنطة والشعير، وحدوث أزمة اقتصادية، وذلم على أثر منع السلطان الناصر أحمد السفن التجارية اليمنية من التوجه إلى مكة، كما أمر بقطع هدية الحبوب التي كانت ترسل سنوياً إلى مكة، واستمرت الأزمة الاقتصادية من سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، إلى سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٦م)، فارتفعت أسعار المأكولات ارتفاعا لم يعهد مثله من قبل، وبقيت الأسعار في ارتفاع حتى عودة العلاقات التجارية مع بلاد اليمن في سنة(٧٠٧هـ/ ١٣٠٨م)[٢].

كما نتج عن السيول التي أصابت مكة سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م) ارتفاع الأسعار؛ نتيجة لخراب الدور والأسواق التي أثرت على حركة البيع والشراء، وتسبب ذلك في ارتفاع الأسعار؛ لكثرة الدمار التي لحق بمكة على إثر ذلك [٣].

---

(١) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٢٢٨. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٣٩٦.

(٢) ابن حاتم: السمط الغالي، ص ٢٢٢. المصري: تاريخ الدولة الرسولية، ص ١٨٨، ١٨٩. عبد العال: بنو رسول وبنو طاهر، ص ٤٦٢.

(٣) يحيى بن الحسن: غاية الأماني، ج٢، ص ٦١٣. نواف: الأزمات الاقتصادية، ص ٢٩٧.

وفي سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٣م) رجع حجاج اليمن برًّا وبحرًا أدراجهم؛ لما بلغهم من أوضاع مكة السياسية المضطربة؛ بسبب الصراع بين الشريف بركات والجازاني، وكذلك ما حدث في سنة(٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) من عودة الحجاج بحرًا؛ بسبب اضطراب أحوال مكة، وكثرة الخوف والنهب في الطرقات، وانقطاع السبل، على إثر الصراعات بين الشريف هزاع بن محمد بن بركات وأخيه الشريف بركات بن محمد [١]؛ مما أثر على اقتصاد مكة في تلك الفترات، حيث وفدت أعداد قليلة من الحجاج؛ الأمر الذي انعكس على حركة البيع والشراء، وقلة المنتجات التي كانت تصلهم من جهة بلاد اليمن.

إلا أن الأشراف كانوا يحرصون في موسم الحج على أن تلجأ جميع أطراف الخصوم إلى الهدنة؛ ليأمن الناس والحجاج على أنفسهم، أيضا لما لموسم الحج من إيرادات جيدة في اقتصاد مكة؛ حيث تجتمع فيه أغلب المنتجات من أنحاء البلاد برًّا وبحرًا؛ مما يجعل الأسعار تبقي مستقرة لقدوم الحجاج والتجار.

وعلى الرغم من حدوث هذه الأزمات، إلا أن هناك سنوات عمَّ بها الخير، واستقرت بها الأسعار، ومن أمثلة ذلك ما دونته المصادر اليمنية لبعض تلك السنوات، ومنها سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م)، فيذكر ابن حاتم [٢] أنها سنة كانت كثيرة الخيرات على مكة، وفي سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٨م) كانت الأسعار رخيصة وكان الموسم بمكة جيداً [٣]، وفي سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م) عندما عاد الحجاج إلى اليمن، أخبروا بخصوبة الحجاز تلك السنة، وأكدوا على استقرار الأسعار في مكة المكرمة[٤].

(١) ابن الديبع: الفضل المزيد، ص ٢٧٧. يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٦٢٧.

(٢) السمط الغالي، ص ٢٢٢.

(٣) الحمزي، عماد الدين إدريس: كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، تحقيق: عبد المحسن المدعج، ط١(الكويت: مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٢م) ص ١٣٨.

(٤) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٥١. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ١٨٧.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة توصلت لعدد من النتائج، والتي من أهمها مايلي:

- اهتمام المؤرخين اليمنيين في تدوين الحياة الاقتصادية بمكة المكرمة وبكل ما يتعلق بها، ومن أهم ما دونت ذكرها لعدد من الوظائف والحرف التي انتشرت في مكة وأورد في كثير من الأحيان اسماء العلماء الذين زاولوا تلك الوظائف والحرف من سكان مكة ومن المجاورون بها.
- وضحت لنا المصادر اليمنية التطورات التي شهدتها وظيفة الإمامة في مكة المكرمة وتعدد الأئمة بها حيث أصبح بالمسجد الحرام أربعة أئمة، يؤم كل واحد منهم أتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة.
- أهمية حرفة الوراقة في نشر العلم والمعارف فقد أسهمت في توافر الكتب وتنوعها في أسواق مكة لكثير من الوافدين للحج أو العمرة لأخذ ما يحتاجونه منها أثناء رحلة العودة.
- كان لمؤلفات المؤرخين اليمنين اهتمام في حصر العديد من السلع الصادرة والواردة من أسواق مكة المكرمة كل عام من مختلف البلدان. كما وضحت لدور التجار اليمنيين القادمين للحج في زيادة التواصل التجاري بين البلدين، وتنوع السلع.
- دونت المصادر اليمنية لبعض الأزمات الاقتصادية التي عانت منها مكة المكرمة في تلك الفترة، ودورها في التأثير على اقتصاد مكة المكرمة؛ لقلة المنتجات التي تصل إليها نتيجة لذلك، مما يؤثر على حركة البيع والشراء في أسواق مكة وتأخذ الأسعار في الارتفاع.
- كان لتحسن واستقرار الأوضاع الاقتصادية في مكة المكرمة دوراً كبير في قدوم تجار اليمن إلى مكة المكرمة، واستقرارهم فيها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

- الأشرف الرسولي، أبي العباس إسماعيل: فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر والزمن، تحقيق: علي حسن علي معيلي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تونس، ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م.
- الأشرف الرسولي، عمر بن يوسف: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تحقيق: عبد الله المجاهد، ط١(دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
- الأفضل الرسولي: العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١ (أبو ظبي: دار الكتب الوطنية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
- البريهي، تاج الدين عبد الوهاب: طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تحقيق: عبد الله الحبشي، ط١(بيروت: دار المقتبس، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).
- البريهي، تاج الدين عبد الوهاب: طبقات صلحاء اليمن(المختصر)، تحقيق: عبد الله الحبشي، ط٢(صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤).
- التجيبي، القاسم بن يوسف: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، د.ط(د.م: الدار العربية للكتاب، د.ت).
- الجعدي، عمر بن علي: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، د. ط (بيروت: دار القلم، د.ت).
- الجندي، بهاد الدين محمد: السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط١ (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
- ابن حاتم، بدر الدين محمد: السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ركس سمث، د.ط(د.م، جامعة كمبردج، د.ت).

- الحبيشي، وجيه الدين عبد الرحمن: تاريخ وصاب المسمى "الاعتبار في التواريخ والآثار"، تحقيق: عبد الله الحبشي، ط٢(صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- الحسيني، الحسن بن علي: ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله، ط١(د.م: دار الوفاق، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م).
- الحمزي، عماد الدين إدريس: كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، تحقيق: عبد المحسن المدعج، ط١(الكويت: مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٢م).
- الحميري، محمد بن عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، د، ط (د.م: مكتبة لبنان، ١٩٧٤م).
- الخزرجي، علي بن الحسن: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط٢(صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- الخزرجي، علي بن الحسن: العسجد المسبوك والزبردج المحكوك في تاريخ دولة الإسلام وطبقات الملوك، تحقيق: مقبل الأحمدي، ط١(صنعاء: الجيل الجديد، ٢٠٢٠م).
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق: عبد الله الحبشي، ط٢(صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، د.ط (بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م).
- الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ط٢ (د.م: طبعة الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، د.ط (بيروت: دار الجيل، د.ت).
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن ابن المعلمي اليماني، وآخرين، ط١(الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
- ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: عبد الله الحبشي؛ محمد السنباني، ط١(صنعاء: دار الحكمة اليمانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- عمارة، نجم الدين بن علي: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق: محمد الأكوع، ط٢(د.م: مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).
- العيدروس، عبد القادر بن شيخ: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: محمود الأرناؤوط؛ أكرم البوشيى، ط١(بيروت: دار صادر، ٢٠٠١م).
- الفاسي، تقى الدين محمد: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- الفاسي، تقي الدين محمد: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: على عمر، ط١(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م).
- بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم شلتوت، د.ط(مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- بن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم شلتوت، ط١ (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- بافقيه، محمد بن عمر: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ط١(صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

- القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، د.ط (د.م: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م).
- ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر، د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م).
- المجاهد الرسولي: الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، ط١(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)
- بامخرمة، أبي محمد الطيب: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عني به: بو جمعة مكري؛ خالد زواري، ط١(بيروت: دار المنهاج، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨).
- بامخرمة، أبي محمد الطيب: تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، اعتنى به: علي حسن بن علي، ط١(عمان: دار عمار، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
- مجهول: نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، ط١ (صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٣م).
- مجهول، ارتفاع الدولة المؤيدية، تحقيق: محمد جازم، ط١(صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٨م).
- المصري، جمال الدين محمد: تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تحقيق: الحبشي، عبد الله الحبشي، ط٢ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
- المظفر، يوسف بن عمر: المخترع في فنون من الصنع، تحقيق: محمد صالحية، ط١(الكويت: مؤسسة الشراع العربي، ١٩٨٩م).
- المظفر، يوسف بن عمر: المعتمد في الأدوية المفردة، ضبط وتصحيح: محمود الدمياطي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠م)

- الأهدل، بدر الدين: تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، تحقيق: عبد الله الحبشي، ط١ (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
- الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، ط١(صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- اليافعي، عبد الله بن أسعد: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ج٤، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
- ابن منظور، جمال الدين محمد: لسان العرب، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت).

ثانياً: المراجع.

- أحمد، علي حسين: أعمال السلطان المظفر يوسف بن عمر الرسولي الخيرية في مكة المكرمة (٦٩٤-٦٤٧هـ/ ١٢٤٩- ١٢٩٥) مجلة العلوم العربية والإنسانية، م١٠، ع ٤(جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧).
- الباشا، حسن: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، د.ط(القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦م).
- البستاني، المعلم بطرس: محيط المحيط، د.ط (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م).
- البلادي، عاتق بن غيث:معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١(د.م: دار مكة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- البلادي، عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، ط٢(بيروت: مؤسسة الريان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- البهوتي: الروض المربع شرح زاد المستقنع؛ وحاشية ابن عثيمين، تحقيق: عبد القدوس محمد، د.ط (د.م: دار المؤيد، د.ت).

- الحسن، سعاد إبراهيم: النشاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- حمدي، محمد السيد: درهم نادر ضُرِب في مكة باسم الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر حاكم بني رسول. مجلة المسكوكات الإسلامية، ع٢(مصر: مركز المسكوكات الإسلامية، ٢٠١٩).
- حسين، جميل حرب: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ط١(جدة: تهامة للنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
- دوزي، رينهارت: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، ط١(بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
- الرحيلي، عبد الودود: مكة المكرمة في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.
- رمضان، عاطف منصور: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، ط١(القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٨م).
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط٧ (بيروت: دار الملايين، ١٩٨٦م).
- السالمي، عبد الحفيظ بن حمدي: الثورات الداخلية والحملات العسكرية الخارجية على مكة المكرمة وأثرها على الأوضاع العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- السنيدي، عبد العزيز بن راشد: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي، مج ٢٥، ع ١-٢(د.م: عالم الكتب، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
- الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، د.ط، ج٢(القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

- الصبحي، يوسف بن محمد: وسام الكرام في تراجم أئمة وخطباء الحرم، ط١(بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
- عبدالعال، محمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، د،ط(إسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م).
- العبيكان، طرفة: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، د.ط (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
- العدواني، نادية: وظائف علماء الحجاز ومهنهم وحرفهم وأثرها على الحياة العامة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.
- العمري، علي بن صالح: الصلات الحضارية بين اليمن والحجاز منذ ظهور الدويلات المستقلة حتى نهاية الحكم الأيوبي في بلاد اليمن (٢٠٤- ٦٢٦هـ/ ٨١٩- ١٢٢٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة القصيم، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- العناقرة، محمد محمود: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، د.ط (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ).
- الفائز، نوال صالح: الأوضاع الاجتماعية للعلماء في مكة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة القصيم، ١٤٣٦هـ/ ١٤٣٧هـ.
- القحطاني، سعيد بن عبد الله: دور المجاورين بمكة المكرمة في الحياة العامة خلال العصر المملوكي ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٦١٥م، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع ٤٧ (جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٢٠م).

- الأكوع، إسماعيل بن علي: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط١(بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).
- لبيب، صبحي: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، ع ٢، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
- مالكي، سليمان عبد الغني: الطبريون مؤرخو مكة المكرمة نشاطاتهم العلمية ووظائفهم في الحرم خلال القرن الثامن الهجري، ط١(الطائف: مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٥هـ).
- المباركي، فاطمة محمد: الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي، د.ط (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٥هـ).
- المطرزي، برهان الدين ناصر: المُغْرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري، عبد المجيد مختار، ط١(حلب: مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
- مقابلة، حسن محمود: الرسليون والمماليك في الحجاز، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، ١٩٩٦م.
- مورتيل، ريتشارد: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ط١(الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
- نواف، زين خلف: الأزمات الاقتصادية في الحجاز وأثرها على مستوى المعيشة للفترة من ٦٤٨هـ إلى ٩٢٣هـ ودور المماليك في معالجتها، مجلة مداد الآداب، مج٨، ع ١٤(بغداد: الجامعة العراقية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م).
- يحبي بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ج١، د.ط (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).